عودة الى سدوم

— ١ —

عدتُ في عينيَّ طوفانٌ من البرقِ ،
ومن رعدِ الجبالِ الشاهقه ،
عدتُ بالنارِ التي من أجلِها
عرّضتُ صدري عارياً للصاعقه
جرّفَتْ ذاكرتي النارُ وأمسي
كلُّ أمسي فيك يا نهرَ الرمادْ :
صلواتي سِفْرُ أيوبٍ ، وحبّي
دمعُ ليلى ، خاتمٌ من شهرزادْ
فيكَ يا نهرَ الرماد ـ

...

وَلْيَمُتْ مَنْ ماتَ بالنارِ
حملتُ النارَ للفندق ، للبيت المُخَرَّبْ ،
فيه أطمارُ أبي ، عكّازُه
ويُضيءُ البيتَ خفّاشٌ مُذهَّبْ
دونَهُ يخشعُ أهلي ، اخوَتي ..
نسلُ السَّبايا
خلّفتْهُمْ غزَواتُ الشرقِ والغربِ
لصوصاً وبغايا
خِرَقاً ، بسمةَ في فندق الشرق الكبيرْ
بِنتُهُمْ تستمريءُ النابَ الذي يغرزُ
في البضِّ الحريرْ
وَلْيكُنْ نابَ خصيّ
إنْ يكُنْ نابَ أميرْ
لَمْ يزلْ شاعرُهُمْ ينسلُّ من جيبٍ
لجيبٍ خلفَ دينارٍ صغيرْ
ثُمَّ يزهو ، يتشهّى ، يستعيرْ
لصريرِ الفأرِ في أمعائِه
من ضميري ، صوتَ عملاقِ الضمير

...

لستُ بوذيّاً بحبّي
أطعمِ الطُّحلبَ والقملَ ثمارَ يديني وقلبي
فَلْيَمُتْ مَنْ ماتَ بالنارِ
وبالطوفانِ .. لن ابكيكَ يا نسلَ
سَدُومْ
لن تموتَ الارضُ إنْ متُّمْ ....

لها بعلٌ إلهيٌّ قديمْ
طالما حنّتْ إليه عبرَ ليلِ العقمِ ..
أنثى والهَهْ
فَضَّها البعلُ وروّاها
ففصَّتْ بالرجالِ الآلهَهْ

-٢-

ما الذي أبقتْ عليهِ النارُ
مِنْ بيتي ، وأتعابي ، ومن تاريخ عمري
ما الذي ينبضُ محروراً طريّاً
في رمادِ المَطْرحِ الخاوي بصدري ؟
كدتُ أبكي لابتساماتِ الصِّغارِ السُّمرِ
أطفالي وأبناءِ حنيني ،
إنها أصفى من النار ،
وأقوى من أعاصيرِ جنوني .

...

طالما روّضتُهُمْ في الريح والثلجِ ،
وفي الشمسِ على جمرِ الرمالْ ،
شُتْتُهُم من معدنِ الفولاد سُمْراً
وريَاحيناً طوالْ ،
وأنا من أجلهِمْ أحرقتُ تاريخي ...
وطئتُ التاجرَ الوغدَ المرائي
ثعلبٌ يمتصُّ من أعضائِهِمْ
وهجَ دمائي .
كلُّ جيلٍ كنتُ أبنيه من السُّمْرِ الطوال
لا مكاناً لهُ ، لا بيتاً وخبزاً ،
صفوةُ المطلوبِ خصيانٌ ضآل
مهنةُ التمسيحِ في الفندقِ
لا يبرع فيها غيرُ أشباهِ الرجال

...

وتذكّرتُ قتالَ الغولِ والتنّينِ
في أرضي ، وكانتْ وادعه
اخوتي ، أهلي على درب الهلاكْ ،
بعضُهُمْ في شدْقِ هذا
بعضُهُمْ في شدْقِ ذاكْ
وليموتوا مثلما عاشوا
بلا تاريخ ، موتى لا يُحسُّونَ الهلاك .

...

وتذكرتُ الصّغارَ السمرَ حَولي
والوجوهَ اليانعه
مَعَهُمْ في الكدحِ والضحكِ ،
وَوَحدي مُوجعٌ ، وجهي بوجهِ الفاجعه
من خلالِ الوردِ والحورِ
أراها خلفَ سورِ « الجامعه »
أترى يُولدُ من حبّي لأطفالي
وحبّي للحياةْ
فارسٌ يمتشقُ البرقَ على الغولِ ،
على التنّينِ ، ماذا هلْ تعودُ المعْجزات
بَدَوِيٌّ ضَرَبَ القيصرَ بالفُرْسِ ،
وطفلٌ ناصريٌّ وحُفاةْ
روّضُوا الوحشَ بروما ، سحّبوا
الانيابَ من فكِّ الطُّغاة
رَبِّ مَاذَا
رَبِّ مَاذَا
هل تعودُ المعجزاتْ ؟

...

بأسمِ مَا أحرقتُ من نفسي بنفسي
لأُصفّي وجهَ تاريخي وأمسي
باسمِ هذا الصبحِ في « صنّينَ » ،
والعَتْمةُ خلفي ، وجحيمُ الذّكريات :
ليَحلَّ الحصبُ والتجرُ الينابيعُ
ويمضِ « الخُضرُ » في إثرِ الغُزاة ،
فارسٌ يُولدُ من حبّي لأطفالي
وحبّي للحياة
لتحلَّ المُعْجزات
رَبِّ ماذا
رَبِّ ماذا
هلْ تعودُ المُعْجزات ؟؟

خليل حاوي

الجامعة الاميركية ـ بيروت